البعد النفسي للخوارج

محاور المقال:

- البداية والتطور.
- أمثلة متقاربة.
- الغلو والخوارج.
- الطغاة والخوارج.



16 رمضان 1435 هـ ـ 14 / 07 / 2014 م

www.ommaty1401.blogspot.com

الخوارج: بدأت هذه الفرقة برفض حكم النبي صلى الله عليه وسلم !! ثم أصبحت طائفة لها "جند وسلاح" وخرجت على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بدعوى عدم تحاكمه – وهو الراشد – إلى كتاب الله، وتكفر عموم المسلمين وتستحل دمائهم، ويُكفرون مرتكب الكبيرة...إلخ !!

وقد جرى في هذه عصرنا هذا إطلاق هذه التهمة على العديد من المجاهدين، بل وحتى المفكرين ! وهي تهمة عظيمة يجب أن يمسك الإنسان لسانه عن إطلاقها هكذا بلا بينة ولا دليل ولا علم ولا فهم.. وتتحول هذه التهمة إلى سلاح فتاك، فكل من يختلف معك في الرأي أو الفعل يتحول إلى: "خوارج" الذين هم: "كلاب أهل النار" في الآخرة.. وفي الدنيا "يقاتلهم المسلم" عند خروجهم المسلح على الأمة المسلمة أو على حكامها المسلمين الشرعيين.

وفي هذا المقال – إن شاء الله – سنحاول الغوص في نفسية الخوارج، ولماذا استحقوا هذا العقاب في الدنيا والآخرة، وكيف نفرق بين الخوارج، وبين غيرهم؟

البداية والتطور

يمكننا فهم نفسية الخوارج من خلال محورين:

الأول/ البداية:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ – وفي لفظ آخر "اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ"– قَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللهِ، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» [صحيح مسلم/ 1063]

الثاني/ التطور: اعتراضهم على الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي هو من أفضل أهل زمانه.. إقامة للشرع والعدل، فاعترضوا على حكمه، ورفضوه.. بحجة قولهم: "إن الحكم إلا لله" !

في البداية.. رجل لا يرى قدر النبي ﷺ ويرفض قسمته، ويقول له: "**اعدل، فإنك لم تعدل**"، هذا ليس تجاوزاً للأدب، هذه حالة من "الكبر" الذي اخرج "الغل" و"الحسد" فكشف "الخبث" الذي في القلب!

وهناك رواية عجيبة عند أبي يعلى الموصلي جاء فيها، عن "أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلى اللهُ عَليه وَسَلم يَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِذَا رَجَعَ وَحَطَّ عَنْ رَاحِلَتِهِ، عَمَدَ إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ فَجَعَلَ يُصَلِّي فِيهِ فَيُطِيلُ الصَّلاةَ، حَتَّى جَعَلَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَليه وَسَلم **يَرَوْنَ أَنَّ لَهُ فَضْلا عَلَيْهِمْ**، فَمَرَّ يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلى اللهُ عَليه وَسَلم قَاعِدٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا ذَاكَ الرَّجُلُ فَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِ نَبِيُّ اللَّهِ، وَإِمَّا جَاءَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللهُ عَليه وَسَلم مُقْبِلا، قَالَ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سُفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ**"، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمَجْلِسِ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلى اللهُ عَليه وَسَلم: "**أَقُلْتَ فِي نَفْسِكَ حِينَ وَقَفْتَ عَلَى الْمَجْلِسِ: لَيْسَ فِي الْقَوْمِ خَيْرٌ مِنِّي؟**"، قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَتَى نَاحِيَةً مِنَ الْمَسْجِدِ، **فَخَطَّ خَطًّا بِرِجْلِهِ، ثُمَّ صَفَّ كَعْبَيْهِ فَقَامَ يُصَلِّي**..." [مسند أبي يعلى/ 4127، والمطالب العالية لابن حجر]

وهذه الرواية تكشف حالة الكبر ـ بكل وضوح ـ بل وتشبه بالشيطان في كبره، وتُبين كذلك تشدده وطريقته وتكلفه في العبادة، واهتمامه بطريقة صف كعبيه، دون أن يهتم بأنه يرى نفسه أفضل من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكبار أصحابه، ومن هنا تكون الهلكة، ومن هنا يكون استحلال دماء المسلمين بدعوى ردتهم وكفرهم!

وهي حالة شبيهة بحالة إبليس اللعين في حضرة المقام العلوي الإلهي وهو يقول: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف: 12] فجاءه الجواب: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: 13]

فخروج إبليس من الجنة بسبب الكبر، وخروج "الخوارج" من الإسلام بسبب "الكبر" أيضاً.. وهذا المرض "الكبر" الذي يخرج "الحسد والغل" إنما هو انعكاس لحقيقة الخبث الموجود في القلب.. واقتضت حكمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يُخرج هذا الخبث - الذي ربما يخفى على الإنسان نفسه ! - ليرى الإنسان حقيقة نفسه، وحقيقة ما بداخله ﴿ لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنفال : 37] ثم يحاسبه الله جَلَّجَلَالُهُ لا على سابق علمه فيه سبحانه، بل على ما قدمت يداه ! وذلك من رحمة الله وعدله.

وجاء التطور.. في الخروج على الخليفة الراشد، ولكن جاء هذا التطور بحيلة خبيثة هروبية: "دعوى التحاكم إلى كتاب الله"، والشيوع عنهم كثرة الصلاة والعبادة ! ولعل "الخوارج" هم أول من استخدموا "الدين" كحيلة هروبية، تستر عنهم خبث طويتهم، والأمراض التي تفتك بقلوبهم ![1]

إن الكبر.. وانتفاخ الذات لديهم حجب عنهم رؤية الخلافة والرشد في علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والكبر حقاً يعمي عن رؤية الحق والخير عند الآخرين عموماً.. فإذا شاهدوا تعظيم الناس للخليفة الراشد - مثلاً - تميزت قلوبهم من الحقد والغل، فهذا اتهام مباشر لهم بعدم رؤية الحقائق، واتهام بالنقص لديهم، وما أشد على نفس المتكبر من الاتهام بالنقص.. فيُخرج الكبر الحسد والبغضاء والغل الذي لا يمكن ستره، فتهرب النفس الخبيثة العارية لتستر هذا الخبث وهذه الأمراض بستار الدين كدعوى التحاكم إلى كتاب الله، وكثرة العبادة، ثم بعد ذلك اتهام الناس بالكفر!!

ثم يأتي التكفير بالمعصية.. وهو أيضاً حالة تعبيرية خفية عن الكبر.. إن في محاولة الخوارج ستر مرض إبليس اللعين "الكبر" وما ينتج عنه.. يتجهون إلى إثبات أن نفوسهم طاهرة نقية بكثرة العبادة وقراءة

(1) والمنهج الراشدي معهم قرره علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقال لهم: "كونوا حيث شئتم على أن لا تسفكوا دماً حراماً، ولا تقطعوا سبيلاً، ولا تظلموا أحدا" وحفظ لهم حقوقهم فقال: " لهم علينا أن لا نبدأهم بقتال ما لم يحدثوا فساداً، ولا نمنعهم مساجدنا، ولا نحرمهم من الفيء مادامت أيديهم مع أيدينا".. وقتالهم قتال أهل البغي: والمقصد منه رفع البغي، وردع أهله: فلا نبدأهم بقتال، ولا يتبع مدبرهم، ولا يُستحل دم مسالمهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا تغنم أموالهم، ولا يُقتل لهم أسير.

القرآن والذكر...إلخ، ثم يحسبون في أنفسهم قدراً ومكانة وطهراً لا يقاربه مثلهم ! ويكأنهم "استخدموا" العبادة ليس لطلب "رضى الله".. بل "رضى أنفسهم"!! بل باستكبارهم على الخلق بكثرة عبادتهم ! فيروا في أنفسهم خير مثال، ربما أفضل من النبي ﷺ ! وأفضل من الخلفاء الراشدين! ثم أفضل من كل المسلمين ! أو هم وحدهم جماعة المسلمين.. !!

وجاء التكفير بالمعصية.. كأن الوقوع في المعصية يكشف الستر عن كبرهم وخبثهم، فهم استخدموا العبادة كستار، فإذا انتهك هذا الستار بالمعصية، يعتبرون الوقوع فيها كفراً !! ولا عجب أن يقع التكفير بينهم أنفسهم في سلسلة لا تنتهي من التكفير، وكلها ليست مشكلة في ممارسة "العبادة والتدين".. بل كلها استخدام للدين لستر "الفرعون" الذي بداخلهم ويقول لنفس كل واحد منهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات : 24]

وإذا بنا أن نرجع إلى مشهد البشرية الأول: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإبليس اللعين، كلاهما وقع في المعصية !

ـ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أكل من الشجرة المنهي عنها.

ـ إبليس – اللعين – لم يسجد كما أمره الله جَلَّ جَلَالُهُ.

آدم: شعر بالندم والخزي والحزن تجاه عصيانه أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وطلب العفو والمغفرة، فغفر الله له.

إبليس: تعمد وقصد وأراد العصيان، وقال متكبرا: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ فجاءه اللعن والطرد والخذلان.

ومن هنا يتبين لنا ملامح المنهج الإسلامي في:

(1) أن الغاية من العبادة ليست هي "تقديس الذات"، بل "تقديس الله جَلَّ جَلَالُهُ".

(2) أن الله لا تنفعه طاعة عبد، ولا تضره معصيته.. ولو اجتمع الإنس والجن كلهم على طاعته أو معصيته.

(3) أن الله يفرح بتوبة عبده، وهو يعلم أنه يُخطأ.. فتأتي التوبة والاستغفار الدائم كوقود لحياة قلب المؤمن.

(4) أن الله يرد طاعة العبد "المستكبر بها" سواء أمام "نفسه" أو أمام الآخرين، والتي يعتد بها، ويشعر معها أنه لا يضاهيه أحد في الطاعة ولا في المكانة !!

(5) أن الأصل في كل عبادة لله هو إتيانها والقلب في حالة من "الوجل" والخوف والترقب هل قبِلها الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من عبده أم ردها في وجهه؟ قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون : 60]

لماذا استحق الخوارج القتال في الدنيا؟ ولمَ قيل في وصفهم: "كلاب أهل النار" في الآخرة؟؟

(1) لأن الخوارج على سنة إبليس في الكبر والغرور.

(2) لأن الخوارج تستخدم العبادة والدين لـ "تقديس نفسها"، وليس لـ "الإخبات والخضوع لله".

(3) لأنهم يستحلون دماء المسلمين بحجة أنهم "كفار" وما يقاتلونهم عن "إيمان وكفر".. بل فيما يبدو عن "حقد وغل وحسد".

(4) وهم كلاب أهل النار في الآخرة[1].. بما سفكوه من دماء المسلمين! لأن الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وهم يلهثون في الدنيا، وفي نار الآخرة.. فسواء شربوا من العبادة ما شربوا أو تركوها، فهم ابتداء لم يطلبوها لأجل "الله" جَلَّجَلَالُهُ، بل لأجل "عبادتهم وتقديسهم لذواتهم"، وستر "خبث" قلوبهم!

(1) عَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " الْخَوَارِجُ كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ " [سنن ابن ماجة/173]

ولعل العلاج لهذه النفسية العجيبة الخبيثة هو أن يقتل "الخارجي" الفرعون بداخله، ويعود عبداً خالصاً لله جَلَّجَلَالُهُ.. لا يتكبر في أرض الله، فلن يخرق الأرض، ولن يبلغ الجبال طولاً، وأن يتحلى بالشجاعة في الاعتراف بخبث النفس، وتطهيرها من دنسها، واللجوء إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وحده..

إن القضية كلها قضية "الاستسلام" بين يدي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.. هرب منها إبليس فاستحق اللعن، وعندما يهرب منها أي إنسان سيستحق اللعن هو كذلك.

❋ ❋ ❋

أمثلة متقاربة

وهنا نأتي إلى مثالين متقاربين ظاهرياً لبداية الخوارج، لكنهما مختلفين تماماً عن الخوارج رغم المقاربة الظاهرية !

المثال الأول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : كُنَّا نَقْعُدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا قَامَ قُمْنَا ، فَقَامَ يَوْمًا، فَقُمْنَا مَعَهُ ، حَتَّى لَمَّا بَلَغَ وَسَطَ الْمَسْجِدِ ، أَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ مِنْ وَرَائِهِ ، وَكَانَ رِدَاؤُهُ خَشِنًا ، فَحَمَّرَ رَقَبَتَهُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ ، فَإِنَّكَ لا تَحْمِلُ مِنْ مَالِكَ ، وَلا مِنْ مَالِ أَبِيكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، لا أَحْمِلُكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِمَّا جَبَذْتَ بِرَقَبَتِي ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ : لا ، وَاللَّهِ لا أُقِيدُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ : لا ، وَاللَّهِ لا أُقِيدُكَ ، فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَ الأَعْرَابِيِّ ، أَقْبَلْنَا إِلَيْهِ سِرَاعًا ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : عَزَمْتُ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلامِي ، أَنْ لا يَبْرَحَ مَقَامَهُ حَتَّى آذَنَ لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ : يَا فُلانُ ، احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا ، وَعَلَى بَعِيرٍ تَمْرًا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انْصَرِفُوا " . [السنن الكبرى للنسائي/ 6724]

ورغم المقاربة الظاهرية في قول الأعرابي " فَإِنَّكَ لا تَحْمِلُ مِنْ مَالِكَ ، وَلا مِنْ مَالِ أَبِيكَ" مع قول الخوارج: " اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ "

فإن قائل: " احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرَيَّ هَذَيْنِ" هو رجل أساء الأدب، وقليل الخلق، وفيه من البدوية، والغلظة، والجفاء، والجلافة ! ولكنها كلها صفات سلوكية.. مطلوب من الإنسان أن يرتقي في أدبه، وسلوكه، ويُزكي نفسه.. لكن هذا الرجل الذي أساء الأدب، لم يكن - فيما يبدو - يحمل كبراً أو غروراً أو حقداً أو غلاً تجاه النبي ﷺ ولم يكن في قلبه خبث من قال: "اعدل يا محمد"، لذا اعطى النبي ﷺ هذا الأعرابي البدوي وهو يرفق بحاله.. وأما الآخر الذي قال: "اعدل يا محمد" فتوعده بالخزي والعذاب.

المثال الثاني:

عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَقُولُ : جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ، فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا ، فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : " أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " [صحيح البخاري/ 4700]

وكما هو معلوم عن الخوارج كثرة العبادة [1]، ويحقر المرء صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم ! لكن هنا في حديث الثلاثة الذين جاءوا إلى النبي ﷺ - وكأنهم يستقلون عبادته - فقال أحدهم: أصوم ولا أفطر، والثاني: أقوم ولا أنام، والثالث: لا أتزوج النساء.. فقال لهم النبي ﷺ: أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، وهذه سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني..

(1) جاء في الحديث الشريف: " يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ" [صحيح البخاري: 3364]

الفرق هنا دقيق: الخوارج يكثرون العبادة، وهؤلاء الثلاثة جاءوا يطلبون مزيداً من العبادة.

فالخوارج – كم سبق الشرح – يكثرون من العبادة "تقديساً لذواتهم"، و"كبراً" و"بطراً" على الناس، ويحقرون من خالفهم، ويكفرونه..

أما الثلاثة – الذين جاءوا للنبي ﷺ – فهي حالة نفسية تريد "القسوة" و"الشدة" و"الترهبن" و"الغلو" على نفسها، لتثبت لله صدق نيتها، وصدق حبها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فجاءهم الإسلام بالرفق والتوازن والعبادة التي ليس فيها شدة ولا قسوة على النفس ولا ترهبن.. وهي سنة النبي ﷺ، وهي العبادة التي يحبها الله – سبحانه – فمن رحمة الله بعبده المؤمن جعل كل حياته عبادة، فالنوم للمؤمن عبادة، والزواج صدقة، والصوم والفطر عبادة.. في صورة كلية شاملة لا يضاهيها في التعبير شيء مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: 162]

* * *

الغلو والخوارج

هناك فرق بين حالة "الغلو" وبين الخوارج..

أما "الغلو" فهو: حالة من "التشدد النفسي"، قد تنشأ كرد فعل على "الميوعة والتفريط" وفيها يتشدد الإنسان في مواقفه، وفي اختياراته، وفي فتاويه..!

وكلمة السر في الإسلام هي: "التوازن" لا غلو، ولا ترخص أو ميوعة.. وبمجرد العمل بوصية النبي ﷺ: "**دوروا مع الكتاب حيث دار**" يحصل التوازن المطلوب للإنسان؛ فلا غلو سيقع، ولا تفريط سيحدث، ولعل من اللطيف في هذا الحديث هو: بيان أن الحياة حركة مستمرة، والكتاب محور ثابت.. هو بوصلة الإنسان في الحركة، فإذا تحركت الحياة – وهي في حركة دائبة – ينظر إلى مؤشر الكتاب ويدور معه وفي اتجاهه، وعليه فالإنسان لا يقعد عند محطة من محطات الحياة، فعينه وقلبه مع الكتاب أينما اتجه فهو معه.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ اهدِنَــــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6] الصراط الخارج من

الكتاب والمؤشر الصادر منه تجاه حركة الحياة ! ولهذا يحتاج الإنسان هداية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كل لحظة.. ولهذا يكرر الإنسان هذا الدعاء سبعة عشر مرة في اليوم غير صلاة النافلة.

* * *

الطغاة والخوارج

كما هو معلوم، الأمة الآن تحت "الملك الجبري والطواغيت" أي تحت شرع غير شرع الله، ويعلوها "شريعة العلمانية"، ومقهورة بقوى الجبر الصليبية، وأدواتهم "الطواغيت" عصابات المافيا التي تعمل خدام للصليب.. هذه الحالة المستمرة منذ سقوط الخلافة العثمانية حتى يومنا هذا، إلا من رحم ربك..

وواجب المسلم:

(1) جهاد قوى الجبر الصليبية والصهيونية والطواغيت.. وتطهير أرض الإسلام كلها منهم.

(2) علو شرع الله سبحانه، تحكيماً وتطبيقا.. يَعلو ولا يُعلى عليه، ونبذ شريعة العلمانية.

والمسلم يواجه في هذا الطريق حرباً من كل نوع، ومكراً قال تعالى فيه: ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم: 46]

ويأتي خدام الطواغيت ليعطوا "شرعية إسلامية" لحكم الطغاة!! ويحرفون الكلم عن مواضعه..! ثم يخرجون "سلاح الاتهام بالخارجية" في وجه كل مسلم يريد أن يجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله..

وأصبح المسلم الذي يريد تحكيم شرع الله وإقامته وتطبيقه هو ـ في موازينهم ـ من "الخوارج" !

فجعل خدام الطغاة الذين يشرعنون الباطل.. جعلوا الطواغيت التي تنبذ شرع الله بالكلية جملة وتفصيلاً وتقتل المسلمين، وتوالي اليهود والصليبيين، وتتخذ من العلمانية منهجاً للحياة.. جعلوهم في منزلة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأصبحت الدعوة إلى كتاب الله وشرعه – الذي هو في

الأصل قضية عقيدة – هي دعوى "الخوارج" وهذه فرية عظيمة، وجرم كبير.. لكنه ليس ببعيد على الطغاة وخدمهم.

ويجب أن لا يثني الاتهام بـ فعل "الخوارج" أحداً عن الجهاد (باليد واللسان والقلب) من أجل إقامة شرع الله جَلَّجَلَالُهُ، وإعلاء كلمته وتوحيد أمة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم، فشرع الله قضية: عقيدة وإسلام.. وليست نافلة يسع الإنسان تركها ! وإنَّ مواجهة الطغيان، والاحتلال الغربي، والصهيوني.. وهيمنته على كل مفاصل حياتنا قضية وجودية بالنسبة للأمة المسلمة.

ولقد استخدم كهنة الطغاة هذا السلاح شر استخدام، فكلما أرادوا إبادة فصيل مجاهد اتهموه بأنه من "الخوارج" وعليه: فـ"طوبى لمن قتلهم وقتلوه" والمسلم لا ينزلق أبداً لمكر الطغاة بل هو شديد الحذر وشديد اليقظة أن يقع في دم مسلم معصوم تحت مزاعم الطغاة! فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللهُ عَليه وَسلم: "مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ عَلَى جَبْهَتِهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ" [السنن الكبرى للبيهقي/ 14586] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93]

كما يجب على المسلم أن يحذر من أن ينزلق إلى هاوية الغلو في التكفير، أو يرمي الأمة المسلمة بالشرك والردة، أو يعمل من خلال خطة العدو، أو ينفر الناس ويصدهم عن سبيل الله، أو يطمع في مال أو جاه أو سلطة، ومن يخلص وجهه لله ويسلم قلبه له سبحانه فإنه يهديه ـ بفضله ـ إلى الصراط المستقيم!

وعلى المسلم أن يحذر أيضاً من سمات وصفات "النفسية الخارجية" ـ بشكل عام ـ فقد يتلبس المسلم ببعض صفاتها دون أن يشعر! والتواضع والاعتدال والرسوخ في العلم والإخلاص لله.. كفيل بإذن الله في تزكية النفس، وصلاحها.

* * *

روابط ذات صلة:

- خطورة الفكر المتعصب على بعث الإسلام من جديد.
- الفكر والالتصاق بالذات.

***